

تفسير ابن كثير

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

قال ابن عباس : (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) أي : يصدقون بما جئت به من الله ، وما جاء به من قبلك من المرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاء وهم به من ربهم وبالآخرة هم يوقنون) أي : بالبعث والقيامة ، والجنة ، والنار ، والحساب ، والميزان . وإنما سميت الآخرة لأنها بعد الدنيا ، وقد اختلف المفسرون في الموصوفين هاهنا : هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويطيعون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) [البقرة : 3] ومن هم ؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير : أحدهما : أن الموصوفين أولاً هم الموصوفون ثانياً ، وهم كل مؤمن ، ومؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ، قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة . والثاني : هما واحد ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ، وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات ، كما قال تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) [الأعلى : 1 - 5] وكما قال الشاعر

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحمفطف الصفات بعضها على بعض ،
والموصوف واحد .والثالث : أن الموصوفين أولا مؤمنو العرب ، والموصوفون ثانيا بقوله :
(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) الآية مؤمنو أهل الكتاب ، نقله السدي
في تفسيره ، عن ابن عباس وابن مسعود وأناس من الصحابة ، واختاره ابن جرير ،
ويستشهد لما قال بقوله تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما
أنزل إليهم خاشعين لله) الآية [آل عمران : 199] ، وبقوله تعالى : (الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من
قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم
ينفقون) [القصص : 52 - 54] . وثبت في الصحيحين ، من حديث الشعبي عن أبي
بردة عن أبي موسى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين :
رجل من أهل الكتاب آمن بنيه وآمن بي ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ،
ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها .وأما ابن جرير فما استشهد على
صحة ما قال إلا بمناسبة ، وهي أن الله وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين ،

فكما أنه صنف الكافرين إلى صنفين : منافق وكافر ، فكذلك المؤمنون صنفهم إلى عربي وكتابي .قلت : والظاهر قول مجاهد فيما رواه الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد . ورواه غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين ، فهذه الآيات الأربع عامة في كل مؤمن اتصف بها من عربي وعجمي ، وكتابي من إنسي وجني ، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأخرى ، بل كل واحدة مستلزمة للأخرى وشرط معها ، فلا يصح الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من قبله من الرسل والإيقان بالآخرة ، كما أن هذا لا يصح إلا بذاك ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك ، كما قال : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) الآية [النساء : 136] . وقال : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد) الآية [العنكبوت : 46] . وقال تعالى : (يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) [النساء : 47]

وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) [المائدة : 68] وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك ، فقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله) الآية [البقرة : 285] وقال : (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) [النساء : 152] وغير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه . لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية ، وذلك أنهم مؤمنون بما بأيديهم مفصلا فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الأجر مرتين ، وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان ، بما تقدم مجملا كما جاء في الصحيح : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، ولكن قولوا : آمنة بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل وأعم وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيشة ، فغيرهم [قد يحصل له من التصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللذين حصلوا لهم ، والله أعلم .